حقيقيه وموثوقه ومعترفا بها كذلك من جانب العدو وحلفائه المحتملين في معسكر العدو، قبل ان تستطيع الحركة ان تثير داخل اسرائيل الاستجابة التي بدونها سيبقى التحرير الحقيقي بعيد المنال . ان عملية التحويل الراديكالي التي جرت في حركة المقاومة الفلسطينية يجب ان تجري في صفوف اليهود . وفي ظروف كهذه قد تكون المعارضة من داخل اسرائيل أقل صلابة وأكثر ديالكتيكية مما يظهر لاول وهلة .

مبررات استمرار النضال

ويعي الفلسطينيون في اتخاذهم قرارهم السير في طريق النضال المعارضة التي سيلقونها على جميع المستويات . فهم يجدون انفسهم على صعيد المنطقة في مواجهة الوضع الراهن محددا بنماذج وقوانين اجرائية تربط ضمن اطار مشترك اسرائيل والدول العربية من جهة ، والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة من جهة اخرى . ان التوازن السوفياتي — الاميركي والميزان العربي الاسرائيلي يستثنيان اي تغيير جذري في العلاقات القائمة بين القوى ومناطق النفوذ ، انهما يستثنيان بالضبط ذلك النوع من التغيير الذي تتطلبه استعادة الحقوق الاساسية للفلسطينيين . وهكذا فان حركة المقاومة الفلسطينية تمثل نفيا لهذا التوازن والميزان . وكونها كذلك يجعل الفلسطينيين يشكلون القوة المركزية الاولى التي من شأنها ان تهدد الوضع القائم واستقرار القوى القائم في الشرق الاوسط على جميع المستويات .

وربما يكون من الطبيعي ان نتوقع من اولئك الراضين عن الامور كما هي قائمة — اي من المستفيدين من التوزيع القائم للسيطرة والجاه — ان يتحدثوا بما يتمشى ووضع تلك الامور ، أي ان يتحدثوا عن القيم والمصالح والاهداف المستمدة من هذه الحالة وان يعملوا من أجل الحفاظ عليها . وهكذا فان اولئك الذين يقولون «بالاتزان» و «التعقل» و «الواقعية» في حديثهم عن الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة يلقون مشاركة الامبرياليين الرأسماليين والمستعمرين الاستيطانيين وكذلك الطغم البورجوازية والبورجوازية الصغيرة الحاكمة في المنطقة .

الا ان الفلسطينيين لا يرون خيارا غير الاستمرار في الكفاح . انهم يقاتلون في سبيل حقوقهم الانسانية الكاملة بما في ذلك حقهم البديهي في العيش في ظل الحرية الديمقراطية على أرض وطنهم . ان الفلسطينيين لا يطالبون بالتمتع بهذا الحق وحدهم وانما يقولون بحقوق اليهود الموجودين الان في اسرائيل بالتمتع بالحقوق نفسها في دولة ديمقراطية علمانية مشتركة . ومن ناحية حقوق الانسان فان اسرائيل اليوم تساوي بالضبط ما اخذت من الفلسطينيين . ان السعادة الاسرائيلية تتكون من دموع الفلسطينيين*. واذا كان الاسرائيليون اليوم شعبا له أرض فان ذلك لان الفلسطينيين شعب بلا ارض . ان انتصارات اسرائيل هي هزائم الفلسطينيين وان اعتداد الاسرائيليين انما هو ذل الفلسطينيين ، وقوة اسرائيل هي ضعفهم . وبينما تنمو اسرائيل على مر الزمن وتتقدم لتصبح دولة بين الدول يختفي الفلسطينيون شيئا فشيئا ليصبحوا شعبا بلا دولة اما مسيطرا عليه في أرض فلسطين او يعيش في المنفى . ان وجود اسرائيل انما يعني انعدام وجود الفلسطينيين بكل ما في الكلمة من معنى .

وبصورة موضوعية ، ليس امام الفلسطينيين خيار غير القتال ضد الاستعمار والسيطرة الاسرائيليين . ولا يمكن ، والحالة كذلك ، ان ينظر الى التحرير على انه مغامرة رومنطيقية بل على اساس انه مسألة بقاء أو عدم بقاء . ولا يمكن ان يكون الفلسطينيون طرفا في اي حل « جزئي » في ظل الظروف السائدة لان كل حل « جزئي » هو في الحقيقة

* وفق تعبير محمود درويش .